

التربية النفسية للقيط و فاعلية الدين وأثره

د/زيان سعيدي

كلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر، مصر

الملخص:

يتناول هذا الموضوع جانباً مهماً من جوانب الحياة الشخصية لفئة تعاني وضعاً نفسياً واجتماعياً مضطرباً، لا تتوقف تبعاته وآثاره السلبية على القيط فحسب، بل تمتد لتشمل المجتمع بأكمله. ولما كانت إيجابية الفرد ومساهمته المثمرة في المجتمع منوطاً باستواء شخصيته وكمال صحته النفسية، كان الوصول إلى الغاية أحد أهم المطالب الاجتماعية التي ينبغي أن تركز لها الأوقات وتتظافر من أجلها الجهود. ولأن الدين عامل مهم من عوامل الاستقرار النفسي والتهديب الاجتماعي، فإنه من الضروري جداً على العاملين في هذا المجال، الرجوع إليه ومعرفة طبيعة نظريته وطريق تعامله مع هذه الفئة في جانبها النفسي، تحقيقاً للصحة النفسية والضبط الاجتماعي. وكم غير الدين من نفوس جامحة كانت مصدراً للآثام ومنبعثاً للإجرام، إلى نفوس هادئة متزنة تشعّ منها أنوار الخيرات وتنبعث من خلالها الأعمال الصالحات.

الكلمات المفتاحية: الطفل اللقيط، الدين، الفاعلية والتأثير الديني، الصحة النفسية، الحاجات النفسية.

The illegitimate child's psychological education and the religious efficiency and its effect

Dr/ Ziane Saidi

Faculty of Sharia and Law- Al-Azhar University; Egypt

Abstract:

This paper deals with an important aspect of the personal life of a category suffering from a turbulent social and psychological situation of which the negative consequences are not confined to the Illegitimate child on their own, but involve the whole society. As a fruitful contribution of the individual in the society depends on his good mental health and his normal personality, this goal was on the major demands, to which the society must dedicate all its time and effort. Considering that religion is one of the most important factors of psychological stability and social discipline, the workers in this field must review how this category is psychologically seen and treated from that perspective in order to reach a stable psychological health and social discipline. Religion has changed many cruel souls which were a source of evil to peaceful and quiet souls becoming source of good actions.

Key words : Illegitimate child; Religion Efficiency, the effect of religious, Psychological health, Psychological needs.

.....

L'éducation psychologique de l'enfant illégitime et l'efficience de la religion est son impact.

Dr/ Ziane Saidi
Al-Azhar University; Egypte

Résumé :

Le présent exposé intitulé « L'éducation psychologique du l'enfant illigitime et l'efficience de la religion est son impac » traite l'un des aspects majeurs de la vie personnelle d'une catégorie souffrant d'un état psychologique instable, car ses effets et ses conséquences ne touchent pas seulement le bâtard, mais aussi elles s'étendent à l'ensemble de la société. Lorsque la positivité de l'individu et sa contribution fructueuse dans la société dépendait de sa personnalité saine et de sa bonne santé mentale, la réalisation de l'objectif était l'un des principales revendications de la société à laquelle elle devrait consacrer le plus de temps et réunir le plus d'effort.

Et parce que le facteur religieux est l'un des facteurs principaux pour la stabilité psychologique et l'éducation sociale, il est donc crucial pour les personnes œuvrant dans ce domaine de consulter ce facteur et de connaitre sa vision et sa manière de traiter cette catégorie dans son aspect psychologique aux fins de parvenir à la santé psychologique et la discipline sociale, la religion a changé beaucoup de personnes cruelles et dures qui étaient lasource de criminalité et de vice en des personnes paisibles et source de bienêtre et des bonnes actions

Mots-Clés : Enfant illégitime ; efficience de la religion ; l'impact de la religion, Santé psychologique ,Besoins psychologique.

مقدمة:

إن من أهم التحديات التي يواجهها الطفل اللقيط, هو التحدي على المستوى النفسي والاجتماعي, والذي ينطلق من طبيعة وجود هذه الفئة حيث يشير في الأذهان في كثير من الأحيان التفكير في أصلها ومنشئها، واحتمال أن يكون نتاج علاقة غير شرعية مما قد يعرضها للكراهية والبغض أولاً، وثانياً لعدم الاهتمام، ثم للإهمال ثالثاً.

وليس هذا التحدي مقصوراً على الطفل اللقيط لوحده، بل يمتد ليكون تحدياً شاملاً للمجتمع بأكمله، يتأثر إيجاباً وسلباً بالوضع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه هذا الطفل اللقيط. وهنا تكمن ضرورة البحث عن دور الدين وفاعليته ومدى مساهمته في تحسين وضعيية اللقيط النفسية والاجتماعية تأميناً للقيط من جهة وتحصينا للمجتمع من جهة ثانية. وسوف يتم في هذه الدراسة

تسليط الضوء على أبرز المشكلات النفسية التي يعاني منها اللقيط، ثم إبراز دور الدين في معالجة هذه المشكلات وسد مختلف الحاجات النفسية لهذه الفئة المجتمعية.

1. الوضع النفسي للطفل اللقيط:

إن دراسة الوضع النفسي للقيط يمرّ عبر ملاحظة مدى تحقق الحاجات النفسية الأساسية لديه ودرجة إشباعها في نفسه. لأن كل فراغ يعيشه الفرد عموماً. والقيط خصوصاً. بسبب الحاجات النفسية، سيقوده حتماً إلى الضلال والانحراف. فالحاجات النفسية هي إحدى حاجات الإنسان المهمة، وربما كانت هي الأساس الذي تبنى عليه الحاجات الأخرى. (علي، قائمي، 2000، ص 119).

من هنا كانت دراسة الوضع النفسي للقيط أحد الركائز الأساسية للوصول به إلى الحياة الطبيعية التي يفتقدها، وتفجير طاقاته وقدراته، وتنمية مواهبه، وإعدادها للبناء والإفادة. فالذين صنعوا الدول وأقاموا الحضارات وأحدثوا أكبر الأثر في حياة أمتهم أو حياة الإنسانية، هم أفراد قويت إرادتهم، واستقامت أخلاقهم، وخلت حياتهم من كثير من الآفات النفسية والخلقية القاتلة. (مصطفى، السباعي، 1995، ص 7). وكيف يمكن أن نأمل خيراً أو نرجو نفعاً من هذه الشريحة في المجتمع، إذا كانت تعاني وضعاً نفسياً مضطرباً، وتعيش حياة مليئة بالانحراف والأزمات النفسية المختلفة. لهذا كان من المقومات الأساسية التي تقوم عليها الشخصية السوية التي يرجى منها ذلك الخير والنفع. هي الشخصية التي تعيش توفقاً ونموً نفسياً في ظل حاجات نفسية مشبعة. وفي ما يلي بيان محاولة فهم هذه الحاجات وطرق إشباعها، ومن ثم التعرف على مختلف المشاكل النفسية التي تعاني منها هذه الفئة، والحلول اللازمة لمعالجتها.

إن تحديد المشكلات النفسية للقيط مرتبط ببيان حاجاته النفسية الأساسية، وكل إحلال واقع عليها أو على بعضها تنشأ منه مشكلة نفسية، والتي تظهر أعراضها في حالات مرضية يعيشها هذا الطفل اللقيط، كالقلق، والاكتئاب، والاضطراب، والعدوانية والشذوذ... وغيرها. وكلها حالات مرضية تنشأ بسبب عدم إشباع هذه الحاجات النفسية الأساسية.

– أهم الحاجات النفسية الأساسية:

من الحاجات النفسية التي اتفق عليها معظم علماء النفس وغيرهم (توكي، رايح، ص 154) ما يلي: (في تقرير لهيئة الأمم المتحدة حدّد فيه حاجات الحدث النفسية وهي كما يلي:

- صلاته العاطفية مع الراشدين الذين يلعبون دوراً في حياته وبصفة خاصة الأب والأم
- الشعور بالأمن.
- الشعور بالاعتماد على الذين ينتمي إليهم.
- تمكين الحدث من التطور بحرية من النواحي الجسدية والعقلية.
- والفكرية، ومساعدته على نوم شخصيته وتمكينه من الاضطلاع بمسؤوليات تتناسب مع مستوى نضجه.
- مراقبته مراقبة حكيمة مستورة من أحد الراشدين الذين يؤثرون عليه. انظر. (محمد عبد القادر، قواسمية، 1992).

● الحاجة إلى الحب والمحبة (الحاجة العاطفية):

يشارك جميع أفراد النوع البشري في الحاجة إلى الاستجابة العاطفية. فالعاطفة تشكل مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ، وهي أحد مكونات النفس وبناء الشخصية، فإن أخذها بشكل متوازن، كان إنسانا سويا في مستقبله وحياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك سواء بالزيادة أو النقصان وفي حالة اللقيط غالبا ما يعاني من النقصان. تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباه، فالزيادة فيها تجعله مدلّلا لا يقوم بأعباء الحياة وتكاليها، والنقصان منها يجعله إنسانا عنيقا على كل من حوله. (محمد، نور، عبد الحفيظ، سويد. (1998)، ص 397).

وأهم المصادر التي تشبّع في نفس الطفل احتياجاته العاطفية من الحب والحنان، والوالدان وبخاصة الأم التي تعتبر أساسا قويا من أسس الشعور بالعطف والمحبة والاطمئنان. وقد وُجد أن الأطفال الذين يبعدون عن أمهاتهم يقاسون كثيرا من جزاء ذلك، ويشعرون بالكثير من التوتر النفسي بسبب فصلهم عن أمهاتهم، وهذا يؤثر على سلوكهم في مستقبل حياتهم (محمد، خليفة بركات. (1976)، ص 25) ولهذا تعتبر مشكلة فقد الأم، أعقد المشاكل التي يعاني منها اللقيط، ومهما كانت المحاولة ملء الفراغ أو الجوع العاطفي في نفسية الطفل الذي يتركه غياب الأم وذلك عن طريق الرعاية البديلة للأم، كما في المؤسسات الخاصة برعايتهم، فلا يمكن أن تصل إلى ملء الفراغ، وتغطية حاجته العاطفية الكاملة. وذلك لأنه عادة ما يشرف على كل مجموعة من هؤلاء الأطفال مربية بديلة عن الأم، ومهما كان عطفها وحنانها فإنه يكون أقل بكثير من عطف الأم الحقيقية، لأن حنان المربية وعطفها يكون موزعا على عدد من الأطفال.

وإذا قدر للطفل أن ينشأ وهو يعاني نقصا على مستوى هذه الحاجة النفسية الأساسية تكوّنت لديه البوادر التي تجعل منه مستقبلا جانحا أو خارجا عن قواعد المجتمع. وقد أثبتت بعض الدراسات أن السرقة، قد تولدت لدى بعض الأطفال من عدم إشباع الوالدين لحاجة الطفل من الحب (محمد، عبد القادر قواسمية (1992)، ص 106). وعلى هذا فإن من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق المجتمع باختلاف شرائعه، العمل على مساعدة الطفل اللقيط لإشباع حاجته العاطفية، والمساهمة في بناء عاطفته تعويضا لغياب الوالدين وبالأخص الأم.

وقد يُظن أن مساهمة المجتمع تتعلق بالجانب المادي فقط، بحيث لا يعاني اللقيط الجوع والعطش والعري، والحرّ والقرّ، فإذا توفر لديه الأكل الذي يدفع به الجوع، والسقاء الذي يدفع به العطش، واللباس الذي يكسو به عورته، والمأوى الذي يقيه الحرّ والقرّ انتهى دور المجتمع ومسؤوليته بالنسبة لهؤلاء. ألا فينبغي أن يُعلم أن الأطفال ليسوا كأفراخ الدجاج، يكفيهم العلف والماء، كالا إنهم في حاجة إلى كل ما في قلوبنا من محبة وعقولنا من ذكاء (محمد، مجاهد طبل (1987)، ص 40). إن الطفل وخصوصا إذا كان لقيطا، إذا احتاج إلى طعمة فإنه يحتاج إلى مداعبة وممازحة. وإذا احتاج إلى كسوة، فإنه يحتاج إلى هدية تدخل السرور إلى فؤاده وتنشر البسمة في جوانب نفسه إنه كما يحتاج لمن يمسح عنه الأذى وينظفه، يحتاج إلى من يمسح على رأسه ويرت على كتفيه.

فهذه هي المساهمة المطلوبة المتكاملة، فإذا شبع الطفل اللقيط شبع بطنه وقلبه، وإذا ارتوى جسمه وفؤاده، وإذا اكتسى بدنه وشعوره. فإذا التزمت هذه الأسس العاطفية في التعامل مع هذه الفئة المحرومة، وصلنا إلى تحقيق بناء عاطفي متكامل نجني من ورائه من هذه الفئة محبة وعاطفة متبادلة وسعيا منها للبناء والتعمير والإفادة.

• الحاجة إلى الأمن:

أي شعور الفرد بأن بيئته الاجتماعية بيئة صديقة، والشعور بأن الآخرين يحترمونه ويقدرّونه داخل الجماعة. وهذه الحاجة من أهم الحاجات الأساسية اللازمة للتوافق النفسي والصحة النفسية للفرد. لأن المرض النفسي ما هو في الحقيقة إلا نوع من فقدان الأمن. (حامد، زهران ، ص35). والمحيط الذي يعيش فيه الطفل إذا كان مفعما بالحب والحنان كان ذلك أول الشروط لشعوره بالأمن. وإذا رأى الفرد أن بيئته الاجتماعية الواسعة تشكل له ملاذا ومهربا من مخاوفه وإذا وجد فيها القبول والرضا شعر بإشباع هذه الحاجة وشعر بالثقة والاطمئنان وأي علامة من علامات عدم القبول وعدم الرضا يراها تهديدا خطيرا لذاته، وهو في أثناء محاولته لإثبات ذاته والمحافظة عليها يستخدم كل وسيلة. ومظاهر العنف والعدوانية التي تظهر على بعض الأطفال ما هي إلا نتاج الشعور بالخوف وعدم الأمن.

ولذلك فإن مشاعر الكراهية والبغض والاحتقار التي يحاط بها الطفل اللقيط من المجتمع الذي يرى فيه صورة الفاحشة والعلاقة الجنسية المحرمة، أحد أهم العوامل التي تزيد من مخاوف الطفل اللقيط، ولا شك أن هذا اللون من المعاملة يؤثر على علاقات الطفل الاجتماعية التي تصله بالآخرين والتي تعتبر أحد أهم المظاهر التي يحتاج فيها الفرد إلى الأمن. (حامد، زهران ص36).

● الحاجة إلى تأكيد الذات:

و الذي يدفع إلى هذه الحاجة النفسية، الحاجة إلى التقدير، والمكانة، الاعتراف، والاستقلال، والاعتماد على النفس. ولذلك يسعى كل فرد بدافع هذه الحاجة إلى تحسين ذاته والوصول بها إلى أحسن المستويات. فالحاجة إلى التقدير تدفعه إلى السعي دائما للإنجاز والتحصيل لإحراز المكانة والقيمة الاجتماعية، والاعتراف من الآخرين والنجاح الاجتماعي. وتتضمن هذه الحاجة، الحاجة إلى النمو السوي العادل، ومعرفة وتوجيه هذه الذات. وأي إخلال في تحقيق هذه الحاجة ينتج عنه أضرار سلبية يظهران بشكل واضح في حالة الطفل اللقيط، ونقص ذلك كلا من الميل إلى الانتقام والشعور بالاحتقار.

● الحاجة إلى تجنب اللوم:

وهي الحاجة التي إذا ما أشبعت في نفس الفرد، سهل الطريق أمامه لتحقيق النجاح وهو بدوره عامل مهم من أجل الرشد والتقدم. لذلك فإنه من الضروري جدا لتحقيق هذه الغاية تهيئة الظروف والعوامل المساعدة لذلك، من تشجيع الطفل، وترغيبه في أن يتقدم وإزالة مخاوفه وهواجسه، وأن لا يسمح بالتردد والخوف بالنفوذ إلى قلبه في كل الأحوال والظروف التي يتعرض لها. أما اللوم والعتاب، فهما من العوامل المؤثرة في توجيه ضربات موجعة لنفسية الطفل وإيجاد اليأس والكآبة داخله. (علي قاضي (2000)، ص220)

وهذا الأثر السلبي الذي يتركه اللوم والعتاب على نفسية اللقيط يظهر في الأخطاء التي يتسبب في حدوثها، ويتضاعف هذا الأثر السلبي إذا كان اللوم على أخطاء لا يد له فيها ولم يكن مسئولا عن حدوثها، كاللوم الذي يجعله يعيش في دوامة صراع داخلي مع نفسه وخارجيا مع المجتمع المحيط به، وفي هذه الحال يبدأ بالاصطدام بعقبات من الأسئلة التي يحمل كل واحد منها أزمة لوحده: من أنا؟ لماذا جنا عليّ والدي؟ ما الذنب الذي اقترفته؟ لماذا أحمّل وزر غيري؟ لماذا لست مثل غيري؟ لماذا يلقي باللوم علي؟ من المسئول عم أنا فيه؟

وكل هذه عوامل مساعدة على إيجاد اليأس والكآبة، ويكون صاحبها مرشحا للوقوع في هاوية الشذوذ والانحراف والجريمة، فرارا من اللوم والعتاب.

ولهذا ينبغي إفهام اللقيط أنه مثل غيره تماماً، له كيان مستقل بنفسه لا يمثّل امتداداً لخطأ غيره، أو صورة لانحراف وقع فيه غيره. ينبغي إفهام اللقيط أن له شخصية تقيّم بما يكون منها من أثر ونفع وتقوى صلاح، وليس يرتبط تقييمها بغيره، باستقامته أو انحرافه. ينبغي أن يفهم أنه قادر على أن يكون فرداً مهمّاً له دور وإيجابية في المجتمع وعلى هذا يجب اتخاذ كل وسائل التشجيع والتحفيز المادية والمعنوية لإعانتته على تحقيق ذلك.

● الحاجة إلى الشعور بالانتماء والحماية: الإنسان كما هو معلوم كائن اجتماعي بطبعه، ولذلك فإنه يجد في نفسه دافعا قويا للسعي إلى الانتماء إلى الجماعة والتواصل مع محيطه الاجتماعي، لأنه يلتمس في الجماعة إشباع حاجته إلى الانتماء إلى الآخرين، وشعوره بالمسؤولية نحوهم، بحيث يحسّ أنه فرد غير مهممل اجتماعيا، فتتكوّن لدى الشخص عواطف متبادلة نحو محيطه الذي يعيش فيه، فإذا وجد فيه عواطف المحبة ومظاهر الاهتمام والقبول بادلها بنفس العواطف والمظاهر، ويكون ذلك من أعظم الأسباب في تقويم سلوك الفرد، لأنه يرى الجماعة امتدادا لنفسه، ويسهل عليه بعد ذلك تهذيب غرائزه الاجتماعية. أما إذا وجد برودا وإهمالا ورفضاً بادلته نفس المشاعر وهذا ما يفضي في كثير من الأحيان إلى الانتقام والخروج على قواعد المجتمع واتجاهاته العامة. (وأكثر الفئات المجتمعية عرضة لهذا المآل، فئة اللقطاء، والتي غالبا ما ينظر إليهم المجتمع نظرة قاسية. وإن تعود هؤلاء على هذه النظرات الجافية وعودهم أحضر تولّد في أنفسهم النفور من الناس، فيشبهون على النفور من المجتمع إن تعودوا أن ينظروا إليهم نظرة المنبوذين، ومن هذا النبذ يتولد الشذوذ، وتتولّد الجفوة والعداوة وعدم الإحساس بالإلف الذي يجعلهم يندمجون في المجتمع ويحسون بإحساسه، يؤلمهم ما يؤلمه، ويرضيهم ما يرضيه. انظر. (محمد، أبو زهرة. ص. ص 120) والوقوف في العزلة، والتي تعتبر أحد أسباب المرض النفسي وعاملا مهمّاً من عوامل تدعيمه وتثبيتته. (حامد، زهران. ص 308)

ولهذا فإنه من الضروري جدا أن يسهّل المجتمع للفرد وخصوصا اللقيط. طريق الانتماء إليه حتى يشعر داخله بكثير من الاهتمام والتقبّل الاجتماعي وهو في هذه الحالة على استعداد للتضحية بالكثير من مطالبه الخاصة ورغباته في سبيل الحصول على التقبّل الاجتماعي، وبالتالي مسابته لمعايير الجماعة وقوانينها وتقاليدها (حامد، زهران، ص 39).

فهذه هي أهم الحاجات النفسية التي لا بدّ من إشباعها، حتى يتم التوافق النفسي،

وتوجد الحياة الطبيعية الخالية من المشاكل النفسية. ونحن نلاحظ أن المشاكل التي تنشأ من التفريط في هذه الحاجات ليست مشاكل خاصة بهذه الفئة. اللقطاء. بل هي شاملة لهم ولغيرهم ولكنها بشكل أكبر تمس هذه الفئة، فالحرمان العاطفي، وفقد عنصر الانتماء وضياع الهوية، وغياب التقدير والقبول الاجتماعي، وفقدان الثقة بالنفس، كلها مشاكل تطغى على هذه الفئة المجتمعية. وإن كانت المشاكل التي يعاني منها اللقيط متعددة، تختلف وتنوع حسب طبيعة حياة اللقيط وظروفه ووضعته، فاللقيط الذي يعيش في مؤسسة رعاية تختلف مشاكله وتنوع كما وكيفا بالنسبة لمن يعيش في أسرة كافلة وحتى بالنسبة لمن يعيشون تحت يد أسر كافلة، تختلف مشاكلهم حسب طبيعة حياة الأسرة الكافلة ومستوى وعيها وثقافتها وغايتها من تربية اللقيط.

فالأسرة التي تقوم بكفالة اللقيط بدافع الشفقة والرأفة والطمع في نيل أجر الإحسان إلى هذا الصغير، تقلّ مشاكل اللقيط داخلها، مقارنة بالأسرة التي يكون الدافع لها لكفالة اللقيط، ما تتقاضاه من مال.

فالحاجات العاطفية واستجابة اللقيط لها، قد تشبّع تماما في الأسرة الأولى، بخلاف الثانية، فقد يجد أمّا كالحقيقية، تعوّضه حنان أمّه وشفقته، ويتشبّع بعاطفتها، ويكتسب المهارات الحياتية الأساسية، والمعارف الأولية التي تمكّنه من إدراك العلاقات بين الأفراد. فمثل هذه المرأة التي تقوم بدور الأم وتؤدي مهامها، ليست كالمراة التي يقتصر تعاملها مع الطفل في حدود الماديات، قد تقوم بأداء جميع الوظائف التي تحتاجها حياة الطفل من الغذاء والإطعام والكساء والتنظيف وليست مسؤولة عن تغذية عواطفه، وشعوره وأحاسيسه، وتعويضه عن فقدته والديه وسائر احتياجاته النفسية الأخرى، لأن المال الذي تتقاضاه هو مقابل قيامها بالأعمال المادية، التي تخضع للمراقبة والمتابعة. كما تختلف وتتنوع مشاكل اللقيط حسب الفئة العمرية التي ينتمي إليها، فالمشاكل التي يعاني منها في مرحلة الرضاعة، أو مرحلة ما قبل الدراسة، تختلف عن المشاكل التي يعاني منها بعدها، وفي مرحلة المراهقة إلى سن البلوغ. فمثلا: البحث عن عنصر الهوية، والأصل، والانتماء، يبدأ بالظهور كمشكلة عويصة في سن التمييز، حيث يبدأ في عنصر البحث عن الانتماء إلى الأصل ويصطدم بعقبات وأزمات نفسية بسبب جهل الهوية، وعدم الانتماء.

وتزيد هذه المشكلة بسبب حاجته إلى استخراج وثائق الهوية، ويبدأ يكتشف شيئا فشيئا أنه ليس كغيره من الناس. وتتضاعف الاضطرابات النفسية في مرحلة المراهقة والتي تعتبر من أصعب المراحل في حياة الإنسان، بل تعتبر الحدّ الفاصل بين صلاحه وفساده وهي كذلك بالنسبة للطفل العادي أو الطبيعي المسلّح بالتربية الأسرية، والتوعية الكافية لخوض غمار الحياة. فما بالك باللقيط الذي يفتقد جميع المقومات والأسلحة، التي تؤهّله لدخول الحياة الاجتماعية دخولا مشمرا. فهو والحالة هذه يعيش تحت هذا الضغط النفسي الرهيب بسبب ضبابية الهوية والانتماء فيعيش في خوف دائم من المستقبل والمصير المجهول، ويرى نفسه وحيدا، يصارع كبّد الحياة ومشقتها. وكل هذا ممّا يضاعف مشاكله في هذه المرحلة بالذات. ولا تتوقف هذه المشاكل عند سن المراهقة فقط، بل وهذا أدهى ما في الأمر. أنه كل ما تقدّم اللقيط في السن، ازدادت سهام المشاكل انصبابا عليه؛ فكلما كبرت معه المشاكل واتسعت دائرة الهموم، ولا تكون نتيجة هذا الوضع إلا الانهيار العصبي أو الهستيريا أو الجنون أو الانتحار. ولتفادي الوصول إلى هذه النتائج الوخيمة، يجب الاهتمام بشكل جدّي بتربية اللقيط تربية نفسية سليمة، والعمل على إشباع رغباته وحاجاته النفسية الأساسية، للوصول به إلى ما يسمى بالصحة النفسية، وهذا ما سيتم بحثه فيما يلي.

2 - التربية النفسية للّقيط:

لم يعد خافيا أن التربية التي تهدف إلى بناء الإنسان وتوجيهه، وترتسم من خلالها معالم الإصلاح والبناء في الفكر والسلوك، لا بدّ أن تكون تربية متكاملة مستوعبة لجميع المجالات شاملة لكافة الجوانب والأمور، ومن بين الأمور التي تحرص التربية على معرفتها طبيعة الإنسان ونفسيته، ليسهل بعد ذلك توجيهه بما يتوافق مع نفسيته. (محمد، عثمان كشميري ، ص13) لأنه من الأخطاء الجسيمة في عملية التربية أن ينظر إلى الإنسان . وهو ميدان التربية وحقلها. من بُعد واحد ألا وهو البعد المادي فتنبصّ كل الجهود عليه، ويهمل بالتالي، البعد الآخر الوجودي في الإنسان، وهو بعد ذو أهمية بالغة تتحدد عن طريقه وجهة الفرد الفكرية والسلوكية. لذلك تزايد الاهتمام في منظومات التربية المعاصرة المختلفة بالتربية النفسية، والتأكيد على ضرورة العناية بها، وإعطائها المساحة المطلوبة في عملية التربية والتنشئة.

والمقصود بالتربية النفسية، تحلية الفرد بجميع الفضائل النفسية، والخلقية على الإطلاق من الثقة بالنفس، والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين، وقوة الإرادة، وغيرها من الفضائل الأخرى. والهدف من هذه التربية تكوين شخصية متكاملة

ومتزنة، تؤهل صاحبها لأن يكون إنسانا ذا عقل ناضج، وتفكير سليم، وتصرف متزن، وإرادة مستعلية. (محمد، ناصح علوان. ص.ص 299) وعلى هذا تظهر مدى الأهمية العظيمة لهذا المجال من مجالات التربية من جهة، وتظهر معه أيضا مدى حاجة الأفراد الملحة والماسية لهذه التربية. وقد رأينا من قبل، أن اللقيط بسبب وضعه غير الطبيعي في المجتمع، فإنه يكون مرشحا لأن يصبح مرتعا لمختلف العوامل التي تغض من كرامته واعتباره، وتحطم من كيانه وشخصيته والتي تجعله ينظر إلى الحياة نظرة حقد وكرهية وتشاؤم. لهذا فإنه من الضروري أن تولى عناية فائقة بشكل خاص لهذه الناحية في تربية اللقيط، لأنه حين وجد نفسه محروما من أبوين ينتمي إليهما، شعر بالحاجة إلى من يحميه ويقوي من عزيمته، فقد أصابه شيء من الذل والانكسار، ولو وجد أبواه لوجد فيهما الحامي الحاني الملتجئ لما يريد، فلما لم يجدهما شعر بالوحدة والوحشة، فكان لا بد من تعويضه لئلا ينشأ مريضا منطويا منعزلا، سيئ النظرة إلى الناس، وربما أدى به ذلك. في أغلب الأحيان. إلى الانحراف نحو طريق الجريمة والإجرام. من أجل هذا اهتم الإسلام بهذه الناحية النفسية التربوية عند الأمر برعاية اليتيم، والذي يمثل وضعا مماثلا للقيط، وهذا ما يظهر في كثير من النصوص الشرعية، والتي سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن عناية الشريعة باليتيم. غير أنه مع هذه المماثلة في الوضعية بين اللقيط واليتيم، إلا أن هناك farkا دقيقا بينهما. فإن اليتيم مثلا بمرور السن عليه، قد تقلّ مشاكله ومعاناته النفسية بخلاف اللقيط فكلما كبر كبرت معه همومه وزادت معه معاناته النفسية بسبب جهالة نسبه، ولعلّ محور الاهتمام الذي يجب التركيز عليه في تربية اللقيط نفسيا، هو هذه النقطة، جهالة النسب وكيف يمكن أن يتخطى هذه العقبة الاجتماعية والنفسية الكؤود. ويمكن الإشارة إلى بعضها فيما يلي:

أ. يجب العمل على أن يستوعب اللقيط ضرورة الفصل بينه وبين خطأ غيره، وألا يكتشفه الشعور بأنه ثمرة لعلاقة محرمة تظهر جميع آثارها المستقبلية على شخصه. وذلك بأن يتدبّر جليا حقيقة قول الله تعالى: ﴿ولا تزوروا زورا أخرى﴾ [الإسراء: 15] وأن الناس ليسوا أحرارا ولا مختارين لآبائهم وأمهم.

ب- أن يعلم اللقيط أن الوضع الذي يعيشه. جهالة النسب. لون من ألوان ابتلاء الله تعالى له، والابتلاء كما هو معلوم مرتبط بالكرامة، وليس بالمهانة. فكلما زاد الابتلاء، زادت كرامة الإنسان ومكانته عند الله، وفي الحديث: «أشد الناس بلاء، الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» (المستدرک علی الصحیحین. 4/448 رقم: 8231 سنن الدارمي. 2/412 رقم: 2783. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن. 2/292)

وكلما أحسن العبد التعامل مع الابتلاء بالصبر والاحتساب، استحق الأجر الجزيل والمضاعف. كما في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء» (سنن الترمذي. 4/601 رقم: 1031. وقال الترمذي: حسن غريب. ورواه ابن ماجه في سننه: 2/1338)

كأن يعلم اللقيط أن النسب عند الله لا يرفع ولا يضع، ولا يقدّم ولا يؤخّر، بل بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: 13] فقد يكون الرجل من أرفع الناس نسبا في الدنيا، وهو من أوضعهم وأحقهم غدا يوم القيامة.

د- أن يعلم اللقيط أن بإمكانه إثبات جدارته وتحقيق المكانة الاجتماعية الرفيعة، وكل هذا لا يصل إليه ببنته من فلان أو انتسابه لعلان، بل بجهد وسعيه وجدّه وأدبه. ورحم الله القائل: (الخليفة العباسي المأمون. ناصح علوان. تربية الأولاد في الإسلام. 1/305)

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا
ليس الفتى من يقول كان أبي

3. الصحة النفسية وفعالية الدين في تحقيقها:

إن من أهم أهداف التربية، إيجاد الصحة النفسية (حامد، زهران، ص372) والتي تعتبر إحدى المقومات الأساسية للشخصية السوية المتزنة. وتعتبر الصحة النفسية من المواضيع الحساسة التي تمس حياة كل إنسان، وهي من الأهمية بمكان بحيث إنها تمثل أهم المطالب التي ينشدها كل إنسان، لأنها الطريق لتحقيق السعادة والراحة التي يبحث عنها دائما. وعلم الصحة النفسية يعنى بدراسة عملية التوافق النفسي، ما يؤدي إليه، وما يحققه وما يعوقه، وما يحدث من مشكلات واضطرابات وأمراض نفسية، ودراسة أسباب تشخيصها وعلاجها والوقاية منها. ويمكن تعريف الصحة النفسية بأنها: حالة دائمة نسبيا (وهذا يعني أن الصحة النفسية ليست حالة إحصائية ثابتة، إما أن تتحقق أو لا تتحقق. بل إنها حالة متحركة، تتغير من فرد إلى فرد، كما يمكن أن تتغير من وقت لآخر لدى الفرد الواحد. (عبد العزيز، الأحمد، (1999)، ص37). يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين، ويكون قادرا على تحقيق ذاته، واستغلال قدراته وإمكاناته، ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته متكاملة سوية ويكون سلوكه عاديا بحيث يعيش في سلامة وسلام. (حامد، زهران، ص 09)

4. معايير الصحة النفسية وعامل الدين:

يتفق غالبية علماء النفس المعاصرين على أن من مستلزمات الصحة النفسية، أن تكون شخصية الفرد سوية ومتكاملة، لا تعاني صراعا بين ثنائياها، الأمر الذي يحول دون توافقها واتزانها (عدنان، الدوري (1984)، ص20) وعلى هذا الأساس فإن المعيار الحقيقي لتمتع الفرد بكامل صحته النفسية، هو مدى الانسجام والتوافق بين مختلف الوظائف (النفسية، الاجتماعية، البيئية، الجسمية العقلية) المكونة لشخصيته. وإذا أردنا أن نضمن بناء سوية ومتكاملا للشخصية، فعلى الرجوع والالتفات إلى إسهام الدين في هذا المجال. لأن الشخصية المتكاملة لا تتحدد معالمها إلا في ظل تعاليم الدين.

ولقد خلق الله الإنسان وهو أعلم به، وبما يصلحه وبما يفسده، فشرع له ما يجعله رجلا سويا ونهاه عن ما يسبب انحرافه واضطرابه، كما قال تعالى: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقِهِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [تبارك 14].

ولهذا عني القرآن الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) بتحديد معالم الشخصية المسلمة السوية التي يكون صاحبها صاحب نفس مطمئنة، والتي من سماتها:

1. **الإيمان بالله تعالى واتباع الرسول:** فالإيمان يعتبر أحد الركائز الأساسية في تحقيق الصحة النفسية، وبالتالي تكامل الشخصية، ولهذا جعل الله الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحا، ونفى بالمقابل الخسران والحزن عنهم. فقال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل 97]، وقال عز وجل ﴿ **وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [العصر 1-2]، وقال عز وجل ﴿ **فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [الأأنعام 48].

وكلما زاد الإيمان زادت معه الصحة النفسية، وكلما نقص أدى إلى وهن في النفس. (أجريت دراسات في هذا المجال تؤكد هذه الحقيقة (عبد العزيز، الأحمد، (1999)، ص106)

2 العبودية: وهي التي تكسب العبد شرف التقلّب في الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه124]

3 المسؤولية: وتشمل مسؤولية الاختيار، والتي حثنا عليها قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد10] وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف29] كما تشمل طلب العلم والإرادة. والعلم المراد: العلم بالله عز وجل، وشرعه لأنه أصل علم العبد وسعادته وكمالته ومصالح دينه وأخراه. والجهل مستلزم للجهل بنفسه و مصالحها وكمالها. كما تشمل المسؤولية سائر الفضائل التي تزكّي بها النفس، من الصدق والأمانة والتعاون، والصبر والعزّة، والقوّة، والصحة، والبعد عن الحرام... وغيرها. ولم تقتصر إسهامات الدين في إيجاد الصحة النفسية وتحديد معالم الشخصية المتكاملة على مجرد الإرشاد إلى أسباب تحقيق الصحة النفسية والوقاية من العوامل التي تؤثر في وجودها وتحقيقها، بل شملت بيان طرق العلاج للأمراض النفسية الناشئة عن غياب الصحة النفسية. فالدين يهيئ للإنسان سبل تحقيق الطمأنينة النفسية، ويكسبه قوة لمقاومة أسباب الحيرة والخوف والقلق. فالدين يرسم للإنسان الصورة الكاملة للانتماء النفسي والانتماء الاجتماعي الذي يشكّل حجر الأساس في تكامل الشخصية والصحة النفسية والعقلية. فهو يغرس بذور الثقة بالنفس، والإيمان بقدراتها على تحقيق خير الإنسان وسعادته. (عدنان، الدوري(1984). ص. ص328)

ولأجل هذا الدور الفعال للدين في إيجاد الصحة النفسية تنادى علماء النفس المعاصرون خاصة في الغرب أخيرا إلى أهمية الإيمان والدين وأثرهما في الصحة النفسية(يقول "وليم جيمس": إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان"، ويقول (بريل): "إن المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضيا نفسيا". (عبد العزيز، الأحمد(1999)، ص910-106) هذا وإن الدين والعقيدة التي يشير إليهما هذان العالمان، هي النصرانية الباطلة، المشوبة بكثير من الانحراف، فكيف لو اطلعنا على أسرار الإسلام وآثاره الطيبة، فما عساهم يقولون. حتى أصبح من الركائز في علم النفس الاجتماعي اليوم، الاستفادة من الدين في علاج كثير من الأمراض النفسية التي يصاب بها الناس في ظل هذه الحضارة، فالهجوم وانحيار الأعصاب والأناية، والانعزالية، والجرائم الأخلاقية، كل هذا يفيد فيه العلاج الروحي. (مصطفى السباعي،(1995)، ص9.)

خاتمة ومقترحات:

- يجب التأكيد على ضرورة الاهتمام بالتربية الدينية وغرس أصول العقيدة وتعميق جذورها في نفس اللقيط. ومهما كثرت مشاكله واشتدت همومه وغمومه، فإنها تتلاشى مع أمن الإيمان وطمأنينة العبادة، ولا يبقى أثر للقلق والاكتئاب النفسي في ظل التزامه بأحكام الدين وعقائده. وبالتالي ينبغي التأكيد في هذا الصدد على:
- إعطاء الحجم الأكبر للتوجيه الديني، وانتقاء المتخصصين في هذا المجال الذين يجمعون بين العلم الشرعي والعلم بأسرار النفس الإنسانية، وذلك لنجاعة التوجيه الديني في الإصلاح النفسي والاجتماعي خصوصا لهذه الفئة.
- تنظيم ندوات ونشاطات إعلامية للتعريف بحقوق هذه الفئة وواجبات المجتمع نحوها، وذلك لتأثير الوضع الاجتماعي وثقله على نفسية هذه الفئة إيجابا أو سلبا.
- تخصيص مواضيع ضمن المواد الدراسية تتناول واقع اللقطة وتُعرف المتمدرسين واجباتهم نحوهم ودورهم حيالهم لأهمية هذا في توفير الأمن النفسي لهذه الفئة.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم .
2. بركات، محمد خليفة (1976). علم النفس التربوي في الأسرة. الكويت: دار القلم
3. قائمي، علي (2000). علم النفس وتربية الأيتام ، بيروت: دار البلاغة.
4. قواسمية، محمد عبد القادر (1992). جنوح الأحداث في التشريع الجزائري، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب.
5. كشميري محمد عثمان. مقدمة في أصول التربية.
6. طبل، محمد مجاهد (1987). آداب معاملة اليتيم، طنطا: مكتبة الصحابة.
7. علوان، محمد ناصح. تربية الأولاد في الإسلام.
8. نور محمد، سويد عبد الحفيظ (1998). منهج التربية النبوية للطفل، بيروت: دمشق، دار ابن كثير. ط2.
9. الأحمد، عبد العزيز (1999). الطريق إلى الصحة النفسية، السعودية: دار الفضيلة.
10. الدوري، عدنان (1984). أسباب الجريمة و طبيعة السلوك غير الإجرامي، الكويت: ذات السلاسل.
11. السباعي، مصطفى (1995). أخلاقنا الاجتماعية، بيروت: دمشق. المكتب الإسلامي.